التقرير اليومي

٢٠٠٧/٨/٢٩

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

نافذة الخيار؛ نافذة الإستهداف

بقلم جورج فريدمان؛ ستراتفور؛ ٢٠٠٧/٨/٢٣

بدأ جميع الرؤساء الأميركيين يصبحون، في النهاية، بطات عرجاء، برغم أنّ عجز أية بطة محددة بعينها يعتمد على مقدار القوة المتبقية لديها لممارستها. فالأمر لا يتعلق فقط بشعبية الرئيس، وإنما يتعلق أيضاً بوحدة المعارضة ووضوحها. ففي السياق الدولي، تعتمد قوة رئيس، هو بمثابة بطة عرجاء، على الخيارات العسكرية التي يمتلكها. فالقوى الخارجية لا تعبث مع رؤوساء أميركيين، بصرف النظر عن مقدار العجز الذي قد يكون عليه، طالما أنّ الرئيس يحتفظ بالخيارات العسكرية.

أما جوهر الرئاسة الأميركية فهو في دورها كقائد أعلى للقوات المسلحة. فمع كل السلطات الرئاسية المتقاطعة بعمق مع تلك التي للكونغرس والقضاء، فإنّ للرئيس السلطة المستقلة الأعظم عندما يتصرف كقائد أعلى للقوات المسلحة. وهناك أشياء كثيرة جديرة بالملاحظة يمكنه فعلها إذا ما رغب بذلك، وأشياء قليلة نسبياً يمكن للكونغرس القيام بها لمنعه من ذلك– إلا إذا كان مُوحداً، وهذا نادر. ولذلك، تظل الدول الخارجية حذرة من القوة العسكرية للرئيس بعد وقت طويل من توقفها عن أخذه بجدية في مسائل تتعلق بجوانب أخرى من العلاقات الخارجية.

هناك مدرسة فكرية تحتج بالقول بأن من المرجح أن يقوم الرئيس جورج دبليو بوش بضرب إيران قبل إنتهاء ولايته. أما المنطق الذي تستند إليه هذه المدرسة فهو أنّ بوش، وبشكل غير معهود، غير مبال لا بالكونغرس ولا بالرأي العام، ولذلك فإن من المرجح أن يعمد إلى إستخدام سلطاته العسكرية بأسلوب ما حاسم، بظل آماله وتوقعاته أنّ يبرئه التاريخ من أي تهمة أو شك. وبذلك المعنى، فإنّ بوش لا يعتبر بطة عرجاء أبداً، لأنه إذا أراد أن يضرب فلا شيء يمنعه من القيام بذلك، قانوناً.

أما الجدل اللا متناهي حول السلطات الرئاسية– الذي إكتسب زخماً في كلا الإدارتين، الديمقراطية والجمهورية– فقد أهمل أمراً واضحاً واحداً: أنّ المحاكم لن تتدخل ضد إستخدام رئيس أميركي لسلطته كقائد أعلى للقوات المسلحة. فالكونغرس قد يستخدم سلطته لقطع الأموال بعد الواقعة، لكن بحسب ما شاهدنا، فإنها ليست السلطة التي توضع قيد الإستخدام عادة.

أما المشكلة بالنسبة لبوش، بالطبع، فهي أنه يحارب على جبهتين في آن معاً، إحداها في العراق والثانية في أفغانستان. فقد أدت هاتان الحربان إلى إمتصاص موارد الجيش الأميركي بدرجة لافتة للإنتباه. إذ أن الوحدات إما مرتبطة بالعمليات الجارية على هذين المسرحين، وإما تعمل على إستعادة وضعها الطبيعي بعد الإنتشار أو أنها تستعد للإنتشار. فالولايات المتّحدة لا تمتلك، وإلى درجة إستثنائية، إحتياطياً إستراتيجياً حقيقياً من القوات البرية، الجيش والماريز. فقد يمكن لقوة ما أن تنبري للتعامل مع أزمة محدودة، إلا أنّ القوات الأميركية ملتزمة وليس هناك عدداً أكبر من الجنود لنشرهم في المنطقة.

كما تواجه الولايات المتّحدة مسرح عمليات محتمل في إيران. فالقتال هناك قد لا يكون بالضرورة شيئاً تبدأه الولايات المتّحدة– فالإيرانيون قد يختارون خلق أزمة لا يمكن للولايات المتّحدة تجنبها. وهذا لن يؤد فقط الى إمتصاص الإحتياطي البري الضئيل المتوفر، وإنما سيمتص أيضاً جزءاً لا بأس به من سلاح الجو والقوات البحرية. فالولايات المتّحدة ستكون كمن يرمي بكل أوراق مساوماته على الطاولة، مع الإبقاء على بضعة إحتياطيين. فمع كل القوات الأميركية المرتبطة بمهمات في خط يمتد من الفرات وحتى بلاد الهند، سيكون باقي العالم مفتوحاً على مصراعيه لقوى ربط ثانية.

هذه هي مشكلة بوش الإستراتيجية– المشكلة التي تعطي شكلاً لدوره كقائد أعلى للقوات المسلحة. فهو قد ألزم، عملياً، كل قواته البرية بحربين. فقواته الإحتياطية هي سلاح الجو والبحرية فقط. وإذا ما تم سحبهما الى حرب في إيران ، فإنّ ذلك سيحد الإحتياط الأميركي من الإنكباب على حالات طارئة أخرى. فالولايات المتّحدة ليست وحدها من يختار وجود أزمة مع إيران، إذ على إيران أن تصوت على ذلك أيضاً. ونحن لا نعتقد بأنه سيكون هناك مواجهة عسكرية مع إيران، إلا أنّ على الولايات المتّحدة أن تضع تخطيطها الطارئ وكأن هناك مواجهة ستحصل.

وبذلك، فإنّ بوش هو قائد أعلى للقوات المسلحة لكنه بطة عرجاء كذلك. فحتى لو تجاهل الأساليب والمراكز السياسية لموقعه، الأمر الذي بإمكانه فعله، فإنه سيظل يفتقر الى الموارد العسكرية المطلقة لتحقيق أي هدف ذي معنى من دون إستخدام الأسلحة النووية. إلا أنّ مشكلته تتجاوز سيناريو إيران. فالإفتقار الى القوات البرية سيجعل قدرة الرئيس بالتأثير بالأحداث على إمتداد العالم تضعف بشدة. بالإضافة الى ذلك، فإنه إذا كان سيقدم على قذف سلاحه الجوي في أزمة ليست إيرانية، فإنّ كل الضغط الموجود على إيران سوف يرتفع ويزول، فالولايات المتّحدة عاجزة إستراتيجياً، إذ ليس هناك من قوة برية متوفرة، كما أنّ إستخدام القوات البحرية والجوية من دون القوات البرية لن يكون حاسماً، رغم أنهما سيكونا قادرين على تحقيق بعض الأهداف الهامة.

فالولايات المتّحدة دخلت الى مكان حيث لا مجال لديها، تقريباً، للمناورة. فالرئيس بدأ يصبح بطة عرجاء بالمعنى الأكمل للتعبير. وهذا يفتح نافذة فرصة للقوى، قوى الربط الثانية تحديداً، والتي لم تكن لكون مستعدة لتحدي الولايات المتّحدة عندماكانت قواتها تمتلك المرونة الكافية. أما إحدى القوى التي بدأت بإستخدام نافذة الفرصة هذه فهي بالتحديد روسيا.

إنّ روسيا لم تعد البلد الذي كانت عليه قبل ١٠ سنوات. فإقتصادها الذي غذته اسعار الطاقة والمعادن المرتفعة، قادر على تسديد إلتزاماته المادية والوفاء بها مالياً. وإنتقلت الدولة من كونها شيء من بقايا ومخلفات الحقبة السوفياتية المسحوقة الى دولة روسية أكثر تقليدية: سلطوية، قمعية، تقبل الملكية الخاصة ولكن بظل شروط تجدها مقبولة. كما تعيد روسيا تحديد نطاق نفوذها في الإتحاد السوفياتي السابق وإعادة إحياء جيشها.

فعلى سبيل المثال، أطلقت طائرة روسية، مؤخراً، صاروخاً على قرية جورجية، وسواء عن قصد أم غير قصد، فإن الصاروخ لم ينفجر بالرغم أن ذلك كان يعني، وبوضوح، إشارة الى الجورجيين– حلفاء الولايات المتّحدة المقربين وغير الودودين تجاه المصالح الروسية في المنطقة– بأنّ روسيا ليس فقط غير سعيدة بالوضع، وإنما هي مستعدة لإتخاذ عمل عسكري إذا ما إختارت ذلك. كما أنّ الصاروخ كان

رسالة واضحة الى الجورجيين بأنّ الروس غير قلقين أو مهتمين بشأن الولايات المتّحدة وردها المحتمل. ولا بد أن ذلك جعل الجورجيين يرتجفون من الخوف.

وقام الروس بزرع علمهم تحت البحر في منطقة القطب الشمالي بعدما كان الكنديون قد أعلنوا عن خطط لبناء كاسحات جليد مسلحة وتأسيس مرفأ في المياه العميقة من حيث ينطلقون للعمل في منطقة "أقصى الشمال". وأعلن الروس عن إنشاء نظام دفاع جوي بحلول ٢٠١٥- وهو وقت ليس بالطويل في الوقت الذي تحصل فيه هذه الأمور. كما أعلن الروس أيضاً عن خطط لإنشاء نظام قيادة وتحكم جديد في نفس الإطار الزمني (٢٠١٥)، وحلّقت الطائرات الروسية الطويلة المدى فوق شرق المحيط الهادئ وصولاً الى منطقة غوام، وهي قاعدة جوية أميركية هامة، مما تسبب بإقلاع المقاتلات الأميركية بسرعة لإعتراضها. كما حلقت داخل منطقة ما كان يُصطلح على أنها ثغرة الـ GIUK (غرين لاند- إيسلاند- المملكة المتّحدة)، مما إستفز الدفاعات الجوية على طول الساحل النرويجي وفي إسكتلندا.

أما الأمر الأهم والأكثر إثارة، فهو أنهم أعلنوا عن إستئناف دورياتهم في الأطلسي، على طول الساحل الأميركي، مستخدمين قاذفات القنابل الإستراتيجية "Black Jack" و الـ "Bear" الشديدة التحمل والقديمة الموجودة في الأسطول الروسي (لا يزال التوازن يعمل لصالح الولايات المتّحدة على طول "الساحل الشرقي"). وخلال الحرب الباردة، كانت دوريات كهذه تجري بهدف تنفيذ إستخبارات إليكترونية وإشارات، وكانت مصممة لمسح المواقع الأميركية على طول الساحل الشرقي ومراقبة زمن الرد والإجراءات المتّخذة، وكان الروس، خلال حقبة الحرب الباردة، يحطون في كوبا للتزود بالوقود قبل أن يعاودوا تعقب آثار الأميركيين، وسيكون من المثير رؤية ما إذا كانت روسيا ستطلب من كوبا الحصول على إمتيازات الحط على أراضيها وما إذا كانت كوبا ستسمح بذلك. أما الأمر المثير أيضاً فهو قيام الجنود الروس والصينيين بمواصلة تدريبات عسكرية، مؤخراً، في سياق محادثات إقليمية. وهذا ليس بالشأن الذي يستوجب تناوله بجدية بالغة، لكنه ليس بالأمر القليل الأهمية أيضاً.

إنّ عدداً من هذه الطائرات تعتبر قديمة. فالـ "Bear"، على سبيل المثال، تعود بتاريخها الى الخمسينات، لكن طائرات الـ B-52 التي لا تزال هامة لأسطول قاذفات القنابل الأميركية الإستراتيجية هي كذلك أيضاً. فعمر السلاح الجوي لا يعتبر أمراً مهماً كما هو الحال في مسائل الصيانة وإعادة التأهيل، تحسين نوعية قوة الأسلحة، وإليكترونيات الطيران والفضاء (الأجهزة والأنظمة والوسائل الإليكترونية المطورة) وما إلى ما ذلك. فلا شيء يمكن إفتراضه والبناء عليه من منطلق عمر الطائرات فحسب.

إنّ النشاط الملفت للعمليات الجوية الروسية- وكذلك الخطط الموضوعة للإنتشار البحري- تعتبر، جزئياً، إشارة سياسية. فالروس تعبوا من الولايات المتّحدة وهي تضغط داخل نطاق نفوذهم ويرون نافذة فرصة حقيقية للضغط بالمقابل مع مخاطرة محدودة بالرد الأميركي. لكن يبدو أنّ الروس يقومون بما هو أكثر من الإشارة. فهم يحاولون إعادة تحديد التوازن العالمي، وهم حتماً غير خاضعين لأي وهم يتعلق بقدرتهم على مضارعة القوة العسكرية الأميركية في أي مجال. لكنهم يؤكدون على حقهم بالعمل كقوة ربط عالمية ثانية ويبرهنون، بشكل ممنهج ومنظم، عن إمتدادهم العالمي. وقد تكون قديمة وبطيئة، لكن عندما تبدأ الطائرات الأميركية على الساحل الشرقي بالإقلاع لإعتراض الطائرات الروسية ومرافقتها لحين خروجها من المجال الجوي ، عندها يحدث أمران: أولاً، يجب أن يبدأ التخطيط العسكري بالتحول لأخذ روسيا بالحساب. ثانياً، تفقد الولايات المتّحدة مرونة أكبر، إذ ليس بإمكانها تجاهل الروس فحسب. إنها بحاجة الآن لتكريس الدولارات القليلة لتحسين نوعية الأنظمة الموجودة على طول الساحل الشرقي- وهي أنظمة كانت مهملة منذ نهاية الحرب الباردة.

وهناك فرضية جوهرية لدى الحكومة الأميركية تقول بأنّ روسيا لم تعد قوة هامة وبارزة. صحيح أنّ جيشها الهائل قد تفكك، ولكن الروس ليسوا بحاجة الى جيش ضخم على نموذج الحرب العالمية الثانية. إنهم بحاجة الى جيش فعال تماماً، وقد بدؤوا بتطويره ليكون مبنياً على أساس القوات الخاصة والمظليين. كما يبدو بأنهم يواصلون عمليات الأبحاث، تحديداً في مجال الدفاع الجوي والصواريخ التي تطلق من الجو-

وهي مجالات كانوا، تقليدياً، أقوياء فيها. إنّ الميل بإتجاه سوء تقدير الجيش الروسي– وهو أمر يقوم به الروس أحياناً– أمر في غير محله. فالجيش روسي قادر ويتحسن بإستمرار.

إنّ إيقاع العمليات الروسية المتزايد في مناطق كانت الولايات المتّحدة قادرة على تجاهلها لسنوات عديدة، مسألة بدأت تثبت نفسها أكثر فأكثر بالنسبة للولايات المتّحدة. ويمكن الإفتراض بأنّ الروس لا يقصدون إلحاق الضرر– إلا أنّ الفرضية ليست ترفاً يمكن أن يسمح به المخططين الأمنيين الوطنيين لأنفسهم به، على الأقل الجيدين منهم. إذ يستلزم الأمر مرور سنوات وسنوات قبل تطوير ونشر أنظمة جديدة. فإذا كان الروس يقومون الآن بسبر غور الأطلسي، الهادئ، ومنطقة القطب الشمالي (الواقعة بين القطب الشمالي وشمال خط الأشجار الشمالية لأميركا الشمالية وأوراسيا)، مرة أخرى، فإن التهديد الحالي ليس هو ما يهم وإنما ما يهم هو التهديد الذي قد ينشأ ويتطور عنه، وهو ما يستدعي تحويل الموازنة المالية المخصصة للآليات المدرعة بشدة التي بإمكانها الصمود أمام هجمات المتفجرات المتطورة و كذلك الإقتطاعات لصالح سلاحي الجو والبحرية.

إنّ الروس يستخدمون الآن نافذة الفرصة، بالطريقة الأكثر تواضعاً وبساطة، لإعادة تحديد التوازن العالمي والحصول على مجال ما للمناورة داخل منطقتهم. ونتيجة لوضعهم الأكثر ثقة بالنفس، فإنّ على الأفكار الأميركية المتعلقة بالتدخلات الأحادية أن تزول . فعلى سبيل المثال، كان التورط في جورجيا ذات مرة نشاطاً لا يحمل، بذاته، مخاطرة كبيرة– لكن الخطر بدأ يتزايد الآن. إنّ المخاطرة بذلك في الوقت يمتص فيه العراق وأفغانستان القوات البرية الأميركية تماماً، هو أمر يصعب على الأميركيين تبريره– وإنما هو سهل بالنسبة للروس.

وهذا يعيدنا لنقاش خيارات القائد الأعلى للقوات المسلحة في الشرق الأوسط. فالولايات المتّحدة لديها خيارات محدودة أصلاً ضد إيران، وكلما ناور الروس كلما كان على الولايات المتّحدة الإمساك والإحتفاظ بما تبقى لديها من القوات– السلاحين الجوي والبحري– كإحتياط. وبذلك، فإنّ مسألة شن مغامرة ما ضد إيران بدأت تصبح أمراً أكثر خطراً. وإذا ما تم ذلك(الهجوم ضد إيران)، فسيكون لدى روسيا نافذة فرصة أكبر. فكل تورط أكبر في المنطقة يجعل الولايات المتّحدة عاملاً أقل في المعادلة العالمية الآتية.

كل الحروب تنتهي، وهذه الحروب ستنتهي أيضاً. فالروس يحاولون إعادة ترتيب الأثاث داخل البيت قبل أن يأتي أي كان ويجبرهم على الخروج منه. إنهم يتعاملون مع رئيس هو عبارة عن بطة عرجاء يمتلك خيارات أقل مما تمتلكها البطات العرجاء. وقبل أن يكون هناك رئيساً جديداً، وقبل أن تنتهي الحرب في العراق، يريد الروس إعادة تحديد الوضع قليلاً.